

«مجد الكتابة العدوانية» للشاعر زيد قطريب

«تشابه أسماء» مقالة للكاتب عامر العبود

ما بين «الأدب الثوري... والأدب اللقيط»



## مبراة | لماذا قلم رصاص؟



فiras الهكّار

ليس سؤالاً سهلاً هذا الذي نطرحه، ونحول أنفسنا الإجابة عنه، وليس أصعب منه سوى سؤال الحقيقة التي يحاول تكوينها كتاب قلم رصاص، ويبحث عنها قارئ قلم الرصاص، لا نذعي امتلاك ناصية المعرفة إلا أننا ومن خلال النثر اليسير الذي بين

أيدينا نحاول تطبيق العقل بهالة من نور، ولا نريد أن نطارد السراب في صحراء العقول الخاوية، بل يحدونا الأمل أن نكون بوابة الظل وبصيص ضوء في آخر هذا النفق المظلم لمن أراد أن يهتدي. نمضي نصف خطوة ونترك للأخر أن يبادر ويكمل النصف الآخر حتى يكتمل المشهد.

أردناه قلم رصاص لأنه الابن الشرعي لشجرة الماضي، وفنيل سراج الحاضر، وزيت قنديل المستقبل، ولأن قلم الرصاص لا يموت ولا يختبئ خلف متاريس من أكياس الرمل، ولا يهادن صفير الريح، قلم رصاص نقطة ماء تهوي على صخرة، ولادة جديدة لطائر فينيق لما يزل ينفذ عن جناحيه رماد الموت مُعلنًا القيامة الأبدية التي لا موت بعدها.

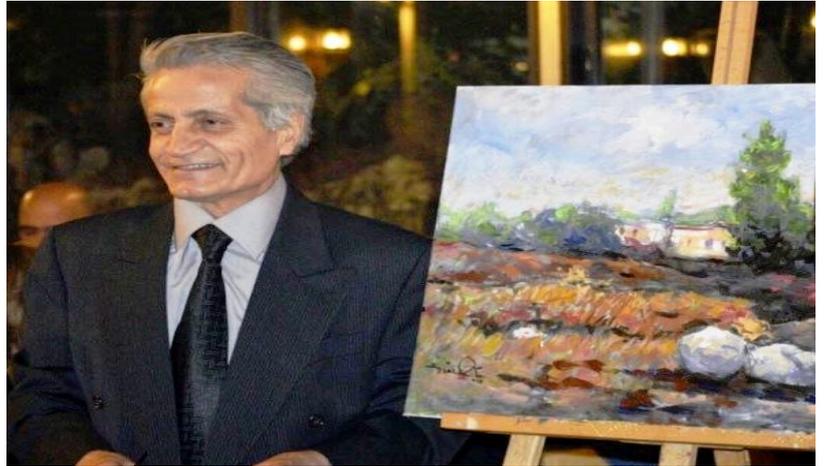
أما الحقيقة فهي أوراق المستقبل الخضراء التي ما زالت على أعضان قلم الرصاص تقاوم رياح الحاضر العاتية، رافضة السقوط كأشجار الماضي الصفراء، وهي مجموعة الرموز التي نعيد تحليلها والجذور الحية المتمشّبة بتراب الأرض، وهي ملامح مراحل مختلفة نشذبها بإعادة صياغتها لنحصل على مستقبل أفضل.

«نحن نبني الكثير من الجدران والقليل من الجسور»، هذا ما قاله نيوتن، وغابتنا مد قلم الرصاص جسراً يرتق ثياب الثقافة التكلّي، ويُعيد ربط ما أمكن من ضفاف المجتمعات التي تشظت وتداعى بنايتها الأصيل بفعل رياح التغيير، نحاول عبره إعادة هيكلة رؤية ثقافية معرفية سياسية والاجتماعية ودينية أسها حرية التعبير والرأي والافتتاح على الآخر، قلم الرصاص ليس أسود، ولم يكن أبيض، وليس من رماد، هو انعكاس قوس المطر يراه الجميع أينما كانوا، ينتقل من ضفة إلى ضفة يُرقع ثوب السماء الممزقة.

إن قلم رصاص وإن كان مهتماً بالدرجة الأولى بالشأن الثقافي فهو في واقع الحال لا يمكن أن يفصل السياسة عن الثقافة ولا الدين عن الثقافة لارتباطهما الأزلي، ولا يهمل دور الاستبداد في انحسار الثقافة، ودور الفوضى في ولادة ثقافة جديدة هلامية الشكل ضحلة المضمون أسها الموت والدمار، لكنه يُعيد رسم ثالوثه الخاص وينزع عنه القداسة فهو لا يعتد بالقدس وإيمانه مُطلق بالرصاص الذي في جعبته، وإن فشل ستكون الرصاص الأخرية في رأسه، فهو إله من تمر، يوكل عندما تمتع الفكرة عن التجسد أو التحرر.

• رئيس التحرير

## الفنان محمد صفوت: اتحاد الفنانين التشكيليين لافتة فقط!



## أطلقوا الرصاص على «الصقر غنّام» فأردوه قتيلاً!



## شخصية «اللا بطل» في رواية الغائب لأنيس بن عمار



- «الأجنحة» للأديب الراحل محمد الماغوط
- «سراج الدين الهندي» قصة قصيرة من العراق
- «الريجيم الوطني» براءة اختراع للرفيق "فيكي"!

## مجد الكتابة العدوانية!



❖ زيد قطريب

يرفع منسوب الأديريالين قليلاً كي يراهن على الخصوصية التي تجعله تلقائياً يغرد خارج السرب! ألا يمكن القول إن النصوص قد تشابهت بشكل غريب مع أن المؤلفين أكثر؟.

في العراق والشام ولبنان، هناك حركة إهليلجية للقصيد تبشر بولادات غير متوقعة على صعيد ديوان العرب، خاصة أن هذه المنطقة تاريخياً شهدت حركات تحرر هائلة على صعيد النص الشعري كان أبرزها ما فعله المعري والمنتبي وأبا نواس بالإضافة إلى صنّاع الموشحات الأندلسية وغيرهم.. صحيح أن المسألة ما زالت في طور التجريب، لكنها المخاضات التي تبشر بالكثير من الآلام والانفراجات معاً تبعاً للمحظورات التي تجابه المخيلة وتصر على إنتاج نوع معين من الحساسية إلى درجة يمكن فيها القول: إن اللغة العربية باتت غير قادرة على التعبير بشكل كافٍ وشافٍ عن الفكر والشعور نظراً للمعجم الذي اخترعه الماضويون بقائلهم الكثيرة يساندهم في ذلك السياسيون المغرمون بقصائد المديح التي دَبجتها اللغة نفسها في أسوأ تحالف بين هذه الأطراف!.

في العراق، شاء شعراء الذهاب بالقصائد إلى حافة الموت، باتجاه حقول الألغام والسيارات المفخخة، كي يضعوا النص وجهاً لوجه أمام الكارثة!.

كان من الضروري شق عصا الطاعة على نصوص المنابر والصالونات

كانوا يعطفون فجأة خارج السرب كي يحسموا المواجهة بالضربة القاضية.. في كل هذا يبدو الأعداء أصحاب مكانة عالية ولهم فضل فيما يمكن أن تصل إليه كتابات اليوم إن شاءت أن تُصنّف ضمن الكتابة العدوانية، تلك الكتابة التي لا تتوانى عن الضغط فوق زناد الحروف حين تحين ساعة الاندلاعات الكبرى داخل المخيلة.. ألا يشبه هذا التصوير تراجمية السياب الذي كان يعطف فجأة أثناء المشي فكتب في إحدى الانعطافات قصيدته الشهيرة "مطر" ثم تورط في الثانية بدخول الحزب الشيوعي كما يقول الماغوط على سبيل الدعاية؟.

نحتاج فعلاً إلى الاحتفاء بالأعداء وكل أنواع العسس والجواسيس وقطاع الطرق الكامنين في حقول الثقافة ومؤسساتها التي تثير الشفقة بسبب ضحالة اليمّ الإبداعي، لأنهم عملياً يجعلوننا نغرم بالغوص في الأعماق!.

بشكل ما، فإن تشابه النصوص الشعرية يمكن تفسيره بالحصار الكتابة العدوانية التي تصر على رفع راياتها فوق التلال علامةً على النصر، والاحتياز إلى العيش في السهول وتحت الظلال، وهو ما جعل القصائد تبدو كأنها مستوردة مباشرة من الترجمات العالمية التي وصلتنا متأخرة مع أن الأوروبيين والأميركيين قد كتبوها منذ أكثر من قرن.. بالتأكيد، المشكلة هنا أن النص يعيش في الهولوى بلا أعداء، وهو لم يشأ أن

سنحتفي الآن بالأعداء!.

في الشعر والسياسة والحب، يعود الفضل للأعداء في دفعا لانتزاع النصر.

أولئك الذين حرضونا لأن نصبح مشدودي السواعد والأذنان والنصوص، يستحقون بعضاً من التكريم في نهاية المعركة أو الجولة إن صح التعبير! ألم تشاهدوا الجنرالات وهم يتبادلون التحيات أمام جثث بعضهم في الحروب الكبرى؟.

لنتخيل المشهد دون أعداء!.

لننصّر حالات الاسترخاء والكسل التي ستبديد المخيلات عن بكرة أبيها بسبب التشابه والاستساخ وتدوير النصوص وإعادة كتابتها على شكل "ستوكات" إذا ما تحدّنا بالحديث عن الأدب؟. ألا يستحق ذلك أن نحكي عما نسميه هنا بالكتابة العدوانية التي تستمد مشروعيتها من النفس بهدف الإشادة والانتقال بهدف الكشف؟.

أليس الركون هو من قضى على الأسنلة طيلة أربعة عشر قرناً من البصم بالأصابع العشرة فوق مساحات البياض؟.

الاحتفاء بأعداء المخيلة هو عرفان بالجميل تقتضيه نزاهة المواجهة مع من يتمسكون بإعادة النصوص إلى الوراء! أولئك الذين يشذون باتجاه القهقري، كان لهم الكثير من الفضل عملياً في اندفاعه القصائد إلى الأمام، ومن لا يصدق فليعد إلى تاريخ من نسميهم بالشعراء المعلونين الذين

الدافئة وانتشال القاصد من حالة التوحد التي تعصف بها لينجز أولئك الكتاب اقتراحات في الكتابة تستحق الوقوف فعلاً.. على الصعيد نفسه، فإن شعراء في الشام يأملون بحدوث ما يشبه عمليات استبدال نقي عظام ضخمة لهياكل القاصد بعدما أصيبت بأمراض العضال، وهو ما أوصلهم إلى التمرد على اللغة التي قالوا إنهم لب المشكلة لأنها عطلت مشاريع الإصلاح الفلسفي ودمرت احتمالات انقلاب النص الشعري بشكل جذري بسبب ذلك التحالف الثلاثي الخطير الذي ضم: رجال الدين ورجال السياسة ورجال اللغة!.

تاريخياً، لم يكتشف النار والعجلة وقانون الجاذبية ودوران الأرض حول نفسها والشمس، أولئك المهادنون المؤثرون للسلامة، في حين كانت الكتابة العدوانية تشق عصا الطاعة.. وتكتشف العالم.. أو تخترعه!.

• شاعر وناقد سوري

## زراعة "اللايكات" في الصفحات البور!

❖ ف. هـ

وليس غرضها سوى كشف رداءة الواقع الذي وصلنا إليه.

وقد نكتشف نحن متأخرون أننا زرنا آلاف اللايكات في صفحات بور، لذلك لم تثمر في أحسن الأحوال إلا عن رداءة مزمنة نتحمل نحن الجزء الأكبر من مسؤولية تكريسها لمساهمتنا في نموها وتقول أصحابها بفعل لا يكتنا غير المدروسة التي وضعناها في الأماكن غير المخصصة لها، ثم نجلس في مجالسنا الافتراضية ونعاتب الأصدقاء عن قلة التواجد في صفحاتنا، ولا نجد أعداء لهم، لأن إنشغالهم بتحسس أرباح الصديقات الافتراضيات ليس أهم من المرور على صفحاتنا، ولسان حالنا يقول: من لم يليك لنا فليس منا.

أكثر من النظر في هواتفهم، ولطالما تسبب ذلك في خلافات بين الأزواج وأفراد العائلة والأصدقاء، وصل بعضها إلى درجة الطلاق أحياناً والقطيعة أحياناً أخرى.

أكثرنا يضع اللايك ويمضي، وصفحات الفتيات هي أكثر الصفحات استقطاباً لللايكات، إنها تشبه لدرجة كبيرة قطعة حلوى تركت على أحد الأرصفة، حتى أضحي بمقدور أي فتاة أن تصنع رأياً عاماً تجاه أي قضية من خلال صفحتها الشخصية التي يتوافد عليها آلاف من كبار السن والشباب، المتعلمين منهم والأميين الأدباء والإدعاء وكلهم تجمعهم في فلك واحد شابة قد يكتشفون يوماً ما أن صفحتها وهمية

معدودة، كنت أجهد في الحفاظ على الحميية بعيداً عن وسائل التواصل التي حولتنا إلى عبيد لها كما يقول المذبح الشهيد محمد سعيد في مقدمة كل حلقة من حلقات مسلسل ضيعة ضايعة الشهير. أغلب من يقولون سنهجر "الفيسبوك" ونقله إلى الأبد، ومنهم أنا، نجدهم أكثر تعلقاً به، ليس هذا وحسب بل يعيشون في صراع داخلي بين هجران هذا العالم الذي تسبب في هدر الكثير من الدماء والوقت وترسيخ الابتذال والعلاقات المشبوهة وتكريس السطحية والفرقة وبين التمسك به أكثر حتى أصبح كل حياتهم، أعرف بعض الأشخاص ممن يستحيل أن ينظروا في عيون محدثهم

مما لا شك فيه أن الفيسبوك قد أضحى عالمنا الواقعي، وكل حياتنا وأصبحت المجموعات هي عائلتنا وعشائرنا والصفحات الشخصية هي مضافاتنا واللايكات هي الأغنام التي كنا نقدمها للضيوف في مناسف كبيرة، وتجدنا نوهل ونسهل ونسينا أن "كثير التهلي يجيب الضيف الطكوع"، كما جاء في المثل الشعبي. شخصياً لم أكن أعرف الفيسبوك قبل عام 2010، لكنني كنت قد سمعت عن "الوتس أب"، إلا أنني لم استخدمه طيلة وجودي في سورية، ولم يكن يعني في شيء حتى أنني كنت أنهر من يسرح من أصدقائي في هاتفه عن جلسة جلسها لأكثر من دقائق

## بين الأدب «الثوري»... والأدب «اللقيط»!

❖ قلم رصاص

لا شيء يولد من العدم، ولا يمكن للفوضى المزمنا أن تنتج أدباً سواء كانت خلقة أو غيرها، لأنها فوضى في نهاية المطاف مهما حاول بعض المتحذلقين أدبياً تزيينها وإلباسها لبوس «التغيير الثوري»، وأن تكتب عن الفوضى أو أياً كان اسمها، يعني أن تعيشها بالضرورة، وتكون في وسط الزوينة وإلا لن تتمكن مهما بلغت براعتك الأدبية وفصاحتك اللغوية من تصوير حجم المأساة الحاصلة، فتوثيق الحقيقة يحتاج إلى ما هو أعمق من روايات يحكيها أشخاص غير ثقافة يوظفون سرد الأحداث حسب مواقفهم الشخصية غير محايد.

### «دكارة الأدب»

يبدو أن بعض الأشخاص وجدوا الفرصة مؤاتية للاستثمار في (دكارة) ما يُسمى جزافاً «الأدب الثوري»، هذا الاستثمار أجاده بالمرتبة الأولى كتاب الصف الثاني وما يليه ممن اهترت أذهانهم لكثرة التصفيق والتطيبيل والتزيمير خلال العقود الماضية، ودمغوا على جباههم بأنهم «متقفو السلطة»، ولا يسعهم إنكار إعجابهم بهذا اللقب بل وسعيهم الدؤوب للحصول عليه، حتى أنهم اعتادوا التديج والْفوه وأصبح طبعاً من طباعهم وسمة من سمات نتاجهم الأدبي الذي كانوا يروجون له ويبيعونه راضين مرضيين برعاية الحزب القائد.

وغيرهم من مفرزات المخاض الذي عاشته وتعيشه سورية خلال هذه السنوات العجاف، انتفض هؤلاء الكتاب وانبروا للحديث والترويج لما اسموه «أدب الثورة» واطلقوا على أنفسهم «الكتاب الأحرار» ليكونوا بذلك كتاباً يليقون بالفوضى وتليق بهم، وأغلب هؤلاء كانوا لوقت قريب في بلاط السلطة بمحض إرادتهم، بل لا يخفى على أحد أن هناك أسماء قدمت تنازلات كبيرة لتكون في الصفوف الأمامية للديكتاتورية زمن سطوتها، ولم تكتب أقلامهم آنذاك عن حماه وحلب، أو حتى عن الرقة المنسية.

إذن قد اتضح جلياً بعد خمس سنوات أن «الأدب الثوري» المزعوم ضمّ بالدرجة الأولى كتاباً لم يفلحوا بالارتقاء بنتائجهم إلى الصدارة في عهد الدولة، فوجدوا فيما كان ضالّتهم، وتصدروا المشهد في لحظة إعادة الاصطفاف، وكانوا في الصف الأول هذه المرة لكن ليس بتطوير مستوى نتاجهم الأدبي، إنما

إنما بالتزين بلبوس البرجوازية اللتنة وتدخين السيجار الأمريكي ليكونوا غيفارات كرتونية، وتقليد رفاقهم من بقايا الاشتراكيين في مص دماء الناس، وهمم الوحيد تأمين التمويل اللازم لمشاريع شخصية باسم نصرة القضية التي أضحت استثماراً مفتوحاً بكل شيء.

خاضت سميرة مسالمة رئيسة تحرير صحيفة تشرين السورية في زمن مضى، تجربتها الروائية الأولى وأصدرت رواية (نفق الدّل)، بعد أن سقطت من سرير السلطة وتلقفتها أحضان المعارضة، ولم تات بأي جديد فيما كتبه، بل اجترت في روايتها ما كان قد تحدث عنه أدباء سوريون في زمن كانت فيه السلطة على سروج خيلها وكانت المخطوطات حينها تُهرّب إلى بيروت مدينة الحرية الثقافية وتعود مطبوعة وتدخل تهرباً إلى البلد عندما كان التطرق لهذه المحظورات وكسر التابو يُعد بطولة تُضاف إلى جودة المستوى الفني للعمل الأدبي، ورغم أن سميرة حاولت عرض سيرة ذاتية لصحفية قدمت تنازلات كبيرة لتحصل على منصب كبير في السلطة الديكتاتورية، إلا أن الرواية جاءت هشة ولم ترق إلى مستوى الحدث.

### «الاستثمار الأدبي»

وبما أن الرداة وصلت إلى الأدب كما تفتت في باقي مناحي حياة الفوضى، وأصبح الكاتب في سباق مع الزمن للحاق بموسم البيع قبل كساد البضاعة في دماغه، بغض النظر عن جودتها وصلاحتها للاستهلاك.

وجد أدباء الصف الأول الفرصة مؤاتية لاستثمار اسمائهم في حلبة المصارعة، بعد أن كسروا المحظور سابقاً، وعلق القراء على صدورهم أوسمة البطولة عندما نشروا نتاجهم وعبروا عن وجع غير مألوف لم يكن أبناء جيلي الثمانينات والتسعينات قد شاهدوه، إنما عرفوه من خلال هذا النتاج الأدبي، ولم يعطوا أنفسهم فرصة للتأكد منه بل صدقوه وأمنوا به لإعجابهم باسم الكاتب وتقديسهم له، وتصدر هؤلاء الكتاب المشهد الأدبي ليس لأنهم أبدعوا فنياً فيما كتبوه وحسب، بل لأنهم حظوا حواجز الرقابة التي كانت تكم الأفواه وتشتري الأقلام أو تكسرها، وتمكنوا

من تهريب نتاجهم من بيروت إلى دمشق.

لو نشر الكاتب خالد خليفة روايته الشهيرة (مديح الكراهية) بعد اجتياح الفوضى الخلاقة مجتمعاتنا لفقدت أهم سماتها التي اكتسبتها من نشرها في زمن الأفواه المكومة، فقد حطمت أكثر من «تابو» وحظيت باهتمام لم تحظ به روايته الثانية (لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة) رغم فوزها بجائزة وترشيحها لأخرى.

كذلك كتب بعض كتاب الصف الأول عن مجريات الأحداث دون أن يكونوا مقتنعين بما يجري على أرض الواقع أو مؤمنين به، لذلك لم يكن لهم موقفٌ معلّن مما عايشوه، بل اقتصرت مواقفهم على التداول فيما بينهم مع بعض الأصدقاء في بعض المقاهي، واندرجت كتاباتهم الخجولة في إطار الموجة الروائية، وروجوا لنتائجهم بين الأطراف المتنازعة لأنها تقف في مسافة متساوية بين الجميع، لكنها تتسم بالرزانة أكثر من غيرها.

### «مراهقة كتابية»

أما مراهقي الكتابة والأدب فهؤلاء هم الذين تفتتت قريحتهم بعد أشهر من بدء المخاض العسير وانفلات عقال الأدب والأخلاق، وبدأوا بممارسة فعل الكتابة عبر شبكات التواصل الاجتماعي ترافقهم جوقة من المصقّفين الذين «يهيصون» لهم، حتى (كبرت برأسهم الخسة)، كما يقول المثل الشعبي، وسبقوا اسماءهم بصفات مثل (كاتب، شاعر، أديب)، دون أن يراعوا حاجة الأدب إلى النقد كي ينضج ويستقيم وليس للردح الذي استفحل في الأوساط الثقافية حتى ماع الأدب وساحت الثقافة، ففي رواية فادي السهو (قتاديل العسكر) التي صدرت مؤخراً لا تجد في محتواها ما يدل على أنها رواية باستثناء الكلمة المكتوبة على الغلاف الخارجي تحت العنوان، هذا الكراس الأول للكاتب وقد تناول فيه الحدث السوري بناءً على قصص يحكيها العوام في الشأن السوري وهي تفتقر لأبسط مكونات السرد الروائي.

وركز هؤلاء الكتاب بشكل فاضح على تصوير حالات القمع والظلم والقهر والجوع التي يعيشها المواطنون الأبطال في كتاباتهم، وبدا في ذلك تحريضاً صريحاً لحمل السلاح وممارسة فعل القتل بدم بارد، ولم تعرف أعمالهم الحيادية إنما انحازوا إلى طرف زعموا

أنه الحق وصوره على أنه الملاك الطاهر النقي الذي يسعى الشيطان لافتراسه.

وتسابق بعض كتاب (الموضة الروائية) من حديثي العهد ومستسهي الكتابة إلى إنتاج أكبر عدد من الروايات في أقصر مدة ممكنة، وهؤلاء لا تختلف سرعة نتاجهم الأدبي عن مبدأ (مكبس البلوك)، وليست متابعة الحدث بأبعاده وعمقه واستشرافه مهمة لهم بقدر اللحاق بالركب وتحقيق أرباح تناسب طموح كاتب ولید.

انجز عبد الله مكسور خمس روايات والسادسة قيد الطباعة، ويعمل جاهداً لجذب القارئ وزيادة حجم المبيعات، بغض النظر عن المحتوى الذي يقدمه في نتاجه الأدبي، أما قيس الدمشقي كاتب رواية (ياسمين في الحرب) فقد حطم الرقم القياسي عندما أنجز روايته بثلاثة أسابيع فقط ويتحدث فيها عن فتاة اسمها ياسمين تركت دراستها وانخرطت في المشروع «الثوري الفاشل».

### «أدب الثورة»

يبدو أن هذا أصبح الشغل الشاغل لكتّاب الموضة الروائية الذين يرفضون التزام قواعد الأدب زاعمين أنهم يصوغون تجربة جديدة قائمة بحد ذاتها في الأدب الثوري السوري، متجاهلين إن أدب الثورة الحقيقي هو الذي يوقد شعلتها ويلهب حماس جماهيرها ويوجهها ويضبط إيقاعها، ويحميها من أن تتحول إلى فوضى عارمة يستغلها مرتزقة الحروف ويستثمرون فيها أينما استثمار، ولا يمكن لمن يفعل ذلك أن يكون أدبياً ثورياً فمن يبيع حروفه في أسواق الدم، ويعرّيد فوق المنابر وأمام الكاميرات مُعلناً ولادة الأدب الثوري بينما أشلاء الأبرياء تتناثر في الطرقات، ليس سوى متطفل على تخوم الكتابة يمارس مراهقته الأدبية مستغلاً غياب الرقيب وانشغاله بالحدث المُعاش، ولا يمكن الحديث عن (أدب ثوري) أو عن نشوء مدارس أدبية جديدة يرسم ملامحها الشباب - كما بالغ بعض المتأفقين «الثوريين والأحرار» في وصفها - قبل أن يهدأ الطوفان وترسو السفينة، ويتوقف شلال الدم وتستقر الأنفوس وتطيب الخواطر حينها يمكننا الحديث عن ولادة طبيعية لنتاج أدبي دون تدخل جراحي ومن أبوين شرعيين يسقطان عنه صفة (الأدب اللقيط).

• رئيس التحرير

## «الأجنحة» للأديب الراحل محمد الماغوط



ولم أنفضها حتى عن رأسي وثيابي،  
لأنني من طريقة سقوطها عليّ عرفت  
أنها زبالة مدعومة.

قلت: حالتك خطيرة جداً. عليك  
بمراجعة طبيب.

قلت: إن الدكتور كيسنجر لن يحل  
مشكلتي، وتصوري أيضاً... صرت  
أبكي في أفلام حسن الامام، وأفرقع  
بأصابعي في حفلات سميرة توفيق.

قلت: كم يؤلمني أن أرى شاعراً مثلك  
لا يجد ما يتحدث به في أواخر عمره  
غير حسن الامام وسميرة توفيق  
وأكياس القمامة.

هل نسيت الشعر؟  
قلت: الشعر! كاتك تذكريني بطفل  
فقدته ولا أعرف قبراً له.

قلت: هل تثق بي؟  
قلت: كنتي بكراسكي. سيدتي.

قلت: أياً كان رأيك فانت في حالة يرثى  
لها أيها العجوز الصغير. وعلاجك  
الوحيد هو الشعر. السفر الروحي على  
أجنحة الحلم والخيال.

قلت: وماذا تريد أكثر من ذلك؟  
قلت: بصراحة، بلد لا يوجد فيه مشاكل  
لا أستطيع العيش فيه.

قلت: مستغربة: مشاكل!  
قلت: نعم. بلد بدون أزمة سكن، أزمة  
مواصلات، أزمة غاز، وبدون  
شاحنات... لا فلان طار ولا فلان راح،  
لا أستطيع أن أقيم فيه أكثر من  
أسبوع.

قلت: نعم. بلد بدون دخان مهرب ودعوسة  
رجلين في الباصات، ومسؤولين  
يخالفون شارات المرور، وشاحنات  
صاعدة هابطة وقت الفيولولة تصب  
جهود الجماهير في أساس بناية أو  
شاليه لهؤلاء المسؤولين، وكل نشرة  
والثانية يا جماهير شعبنا، وفي هذه  
المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا، لا  
أشعر بأنني في بلدي وبين أهلي  
وأحبابي كما يقولون في كلماتهم

الترحيبية.  
كل شيء عندهم في تونس هاديء  
كمراكز الامتحانات، وكل شيء واضح  
ومحدد حسب النظام والقانون، ولذلك  
فقدت أعصابي وصرت كالخليجي الذي  
اعتاد النوم طوال حياته على صوت  
المكيف. فما أن يتوقف عن العمل حتى  
يستيقظ ولا يعرف كيف ينام حتى يعود  
إلى العمل والهدير من جديد.

ثم إنني أحب هذا الوطن من محيطه  
إلى خليجه. فأينما كنت، ما أن أقرأ  
اسمه في جريدة، أو اسمعه في إذاعة  
حتى اتجمد كنه سيبيري، كعريف في  
حضرة جنرال، إنني أحبه، قدروا  
ظروفي وعواظفي.

فيه قرأت أول قصة لياسين رفاعية،  
وسمعت أول أغنية لفهد بلان، وقرأت  
أول افتتاحية ترد على كل المخططات  
الأجنبية في المنطقة، تبدأ ببيت  
للفرزديق وتنتهي ببيتين للأصمعي. فيه  
سمعت لأول مرة اسم: قضية فلسطين،  
عاندون، حرب التحرير الشعبية، حرب  
الاستنزاف، الكيلومتر 101،  
مرسيدس 220 امبريالية، استعمار  
انسبستر، ديبون، فيزون، بيار  
كاردان، جنرال الكتريك، جنرال  
سيلاسفيو؟ وصرخت زوجتي بحدة:  
مشكلتك أنك تسخر من كل شيء في  
هذه المنطقة.

فقلت لها: بالعكس، مشكلتي أنني  
احترم كل شيء فيها حتى قمامتها،  
بدليل، وأنا عاند في آخر الليل سقط  
عليّ كيس قمامة، فلم أحتج. وجهي  
بيدي.

فقلت: ولما كانت زوجتي بطبيعتها حالمة  
وخيالية، فسرعان ما فتحت النافذة  
وحذقت في الأفق البعيد وقالت: الآن  
وليس غداً. انزع من رأسك كل السفاسف  
السياسية والمنغصات اليومية وتعال معي  
لنظر على أجنحة الحلم والخيال إلى  
العوالم التي سبقنا إليها رامبو وفيرلين  
وهايني وشرل ولوركا، لنظر بعيداً في  
عالم السحر والجمال حيث السماء  
الزرقاء والأمواج الحاملة والغابات  
الغراء.

فقلت لها:  
حبيبتي، إذا ما استمرت الأمور في  
المنطقة على هذا المنوال. تبادل شتانم  
ومؤتمرات وخطابات. فلن نظير أنا وأنت  
وغيرنا في نهاية الأمر الا إلى كامب  
ديفيد.

قلت: من كتاب سأخون وطني

آخر مرة كانت إلى تونس. أربعة آلاف  
كيلومتر فوق البحار والقارات وأنا  
احدق من نافذة الطائرة كما يحدق  
اليتيم في واجهات الحوانيت في  
الأعياد، كانت الغيوم هاربة من العرب،  
الأمواج هاربة من العرب، الأسماك  
هاربة من العرب، التلوث هارباً من  
العرب، العروبة هاربة من العرب.

ويعد أسبوع كنت أهول عانداً إليهم  
وحزام الأمان ما زال حول خصري.  
وسالتني زوجتي بدّهشة: ما الذي عاد  
بك بهذه السرعة؟ ألم تعجبك تونس؟  
قلت: إنها الجنة بعينها، شمس وبحر  
وغابات.

قلت: وماذا تريد أكثر من ذلك؟  
قلت: بصراحة، بلد لا يوجد فيه مشاكل  
لا أستطيع العيش فيه.

قلت: مستغربة: مشاكل!  
قلت: نعم. بلد بدون أزمة سكن، أزمة  
مواصلات، أزمة غاز، وبدون  
شاحنات... لا فلان طار ولا فلان راح،  
لا أستطيع أن أقيم فيه أكثر من  
أسبوع.

قلت: نعم. بلد بدون دخان مهرب ودعوسة  
رجلين في الباصات، ومسؤولين  
يخالفون شارات المرور، وشاحنات  
صاعدة هابطة وقت الفيولولة تصب  
جهود الجماهير في أساس بناية أو  
شاليه لهؤلاء المسؤولين، وكل نشرة  
والثانية يا جماهير شعبنا، وفي هذه  
المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا، لا  
أشعر بأنني في بلدي وبين أهلي  
وأحبابي كما يقولون في كلماتهم

## هياج النار .. قصيدة للشاعرة السورية الراحلة سنية صالح

أقوام لا حصر لها تُعسكرُ على أبواب

الروح

تقرر حصتي اليومية من الحياة

ويه تطعم كلابها الضارية.

كارما.

صوتك المتأوه ذبحني.

العالم الذي حُجّسب عنكش

نفذت صورته من شقوق الروح.

ومن تلك الشقوق

سوف ترين حركة القلب المتساقط

تحت عصا الطغيان.

\*\*\*\*\*

هياج النار: الغبار ودقائق التراب

المنثورة على وجه الأرض.

• كاتبة وشاعرة سورية، زوجة

الأديب محمد الماغوط

ولكنني الأسلاك التي تأوى إليها الطيور

المذعورة...

أنا الظلام.

وعندما يعبرني اللصوص والقتلة

ومزيفو النقود

تقبض عليهم أحلامي.

يا أحواض الفار

يا قلبي

أيها المنفي في الجحور والأنفاق

من يعلم كيف تشق الطيور المذعورة

طريقها

وسط الرصاص؟

أقوام يخرجون من الجسد الفاني

والنقمة ترمجر في عيونهم.

أولئك العابثون هم شهودُ شقائي

بعد أن ضاع صوتي في صحراء

الحرية.

## قصة قصيرة: سراج الدين الهندي

❖ ضياء جبيلي



بالحرارة - فإن هناك الكثير غيره ممن يُبزنون بألقاب أخرى، كـ "بُنة الصيني الذي لا يقتني سوى السلع الصينية الرخيصة، و"عباس النرويجي" الذي كان مقيماً في النرويج وطرده منها بعد خروجه من السجن، حيث أمضى عقوبته هناك بتهمة التحرش الجنسي بالأطفال، و"عطية الأفريقي" الذي يدعي أنه يستورد مساحيق التثبيط الجنسي من أفريقيا.

(3)

"تكلّم هيببي !"

يزرع ضابط التحقيق بوجهه الذي اختفت ملامحه خلف فوضى الدم والشقوق وأثار بوكسات الحديد : " أنت عراقي؟"

يقسم سراج الدين المحشور في زاوية معتمة من غرفة تحت الأرض، بالمقدسات والأولياء الصالحين، أنه عراقي، وأبوه عراقي، وأمه عراقية، وأن عراقيته تجتاز جده السابع عشر إلى كلكامش. يفعل ذلك بينما هو يحشر رأسه بين ركبتيه، ليتحاشى المزيد من بوكسات الجلاد الذي كان يكرر كلمة : "اعترف كلب" مع كل بوكس ودمغة ورفسة يوماً مروّسه بتوجيهها.

"بماذا أعترف؟"

"بأنك هندي" يجيبه الضابط بلهجة أمرّة لا تخلو من وعيد بتهديش أسنانه إذا ما انكر هذه المرة بأنه هندي جلف جاء من وراء البحار، من بلاد القروذ والقبلة والتوابل الحارة، وملء مسامته راحة ثوم زنخة يريد أن ينتن بها البلد : "اعترافك سيوفر لك تسفيراً عادلاً إلى بلدك، بدل أن تموت هنا مثل كلب.. أعدك"

هل يمزحون معه؟ أم يضحكون على عقله، لكي يقول لهم أنه هندي فعلاً، ثم يسوقونه إلى المشنقة بعد ذلك، ومن أجل ماذا؟

من أجل شطة وتوابل لعينة مهمتها في هذه الحياة هي تقريح المعيدات، وإحراق الأمعاء والشروج، وتحميم البواسير. فطوال حياته، بدلاً من أن يلهث وراء النساء، مثله مثل أغلبية الذكور، راح

لشعرية ما بعد الحداثة: قد تخرجين أعرف أنك قد تخرجين من أرياف دمشق إلى سدة المدينة العدم خلا مكانه لكل شيء هناك مدينة أخرى وأنا قليل المعرفة والعرفان..

هناك مدينة أخرى ولست بحاجة إلى الكشف

فدمشق تكشف نفسها وتقول لنسانها إذهبن إلى أحضان توحى بالمخملية.

يُنشئ قيس مصطفى شبكته اللغوية الصغيرة من استعداده لمخيلته وذاكرته المكاتية والزمانية عبر التخلل في عمق التجربة التي افتتحها في مجموعته الأولى (أبحث عنك في مرتين، الأولى مع أصبع فلفل أخضر، والثانية مع شطة فلفل أحمر، لكنه كان أقل تضرراً في الحالتين، وصار أقرب إلى الاعتياد في المرات التي تلتها.

إلا أن العلامات الأولى لنهمته ظهرت في أحد الأيام، حينما بلغ العاشرة من عمره، التهم سندويتش فلفل، كان رفيقاه قد دسا فيه ثلاثة أصابع فلفل، أمليون أن تحرق فمه، ويكون ذلك مقبلاً لن ينساه مدى الحياة. إلا أن شيئاً لم يحدث لسراج، حتى أنه لم يلحظ أن سندويتشه ملغوم بتلك الكمية التي تكاد أن تكون كافية، لجعل الدخان يتصاعد من رأسه وأذنيه. كان يأكل بمتعة، كما لو أن الحياة صارت أجمل، بينما هي تحترق من فمه حتى شرحه. وحين سألاه إن كان ثمة شيء يحترق في بطنه، نفى ذلك، وقال أنه لم يذق طعاماً ألد من ذلك السندويتش.

بمرور الوقت، صار سراج الدين لا يجلس إلى مائدة تخلو من الطعام الحار. وقد أكسبه ولعه بالفلفل ومشنقاته لقب "الهندي" الذي صار ينادى به حتى في البيت، من قبل أفراد أسرته، فضلاً عن المدرسة وساحة الكرة، أو حينما يعوم مع زملاءه في مياه النهر. الأمر الذي لم يكن ليثير استيائه، أو يقلل من كونه عراقي الأم والاب، وسليل أجداد ضربت جذور عراقيتهم في أرض البصرة منذ مئات السنين.

فكما يناديه الآخرون بهذا اللقب - الذي لا يدعي نسبته إلى الهند، أو تشبيهه بالهنود من ذوي السمرة الكالحة، بقدر ما يؤكد ذلك على نهمته غير الطبيعية تجاه الأكل المفرط

حشر نفسه بين حشود الناس الذين راوحوا يتناهبون مختلف السلع الغذائية، رز، طحين، فاصولياء، عدس، بُن، حليب، نشاء، سمك، معلب، زيتون، مخلل، صابون، مساحيق تنظيف، شوكولا، علكة. كل تلك الأشياء لم ترق لسراج الدين، فقد كان يعرف ما يبحث عنه، وقد عثر عليه أخيراً في أحد المخازن، وهو ذلك النوع المعتق من الشطة الحارة، التي يبول منها الحمار دماً، كما يتبجح أمام أصدقائه دائماً.

كان هناك بعض عبوات الشطة راحة تحرق العيون، وتتحسس الأنوف من قوة لذعها، وعلى ما يبدو انها هي التي قادت سراج الدين من أنفه إلى ذلك المخزن.

وفضلاً عن صناديق الشطة، هناك الكثير من التوابل الحارة المستوردة من الهند، وصناديق كجب حار، وفلفل أخضر معلب نقل منها سراج كميات كبيرة أثارت حنق زوجته، ففي الوقت الذي كان الأزواج ينقلون إلى بيوتهم الرز والطحين والعدس والسمن، كان هذا المخبول يقضي نهاره كاملاً بنقل نيران الأمعاء تلك، ويملاً بها البيت الذي أصبح بقعة متبلّبة من جهنم، حسب إفادة جاره التي أدلى بها في مديرية الأمن العامة، حينما اعتقل سراج الدين بعد استعادة المدينة من الثوار بتهمة المشاركة في انتفاضة آذار 1991 .

(2)

عندما كان في الثانية من عمره، غافل أمه على الغداء وأكل إصبع فلفل حار. تغلغل فمه، ودعك عينيه، فكادتا أن تحترقا، ألمه لذع الحرارة، إلى حدّ تصور معه الأب موعان البُن الذي يكسو حدقتيه، فغطس رأسه في طشت ماء، وأجبره على فتح تلكما العينان اللتان وجدت الجدة طريقة أقل عنفاً لتبريدهما، فقد وضعت فص ثلج في قماشة وراحت تمسح به على جفنيه وتفتخ عليهما، بينما هي تقرأ: "يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم" وكمن يلهو عن خوفه بعد الخراف، كان سراج ينشج مترنماً بالكلمات التي رافقت خطواته الأولى المتأخرة :

"تاتي..تأتي"

تكررت الحالة في سنته الثالثة

(1)  
"لو لم تفعل أمريكا شيئاً سوى صناعة الشطة، لكان ذلك أفضل إنجازاتها!" يقهقه زملاء سراج الدين الملتحفين بقمصلات عسكرية. كانوا يجلسون حول جذع نخلة مشتعل، قريباً من النهر، في ليلة آذارية باردة. ثمة عبارات نارية بالكاد يسمع صوتها في الجوار، فكل شيء مسيطر عليه تقريباً من قبل الثوار، كما تشيع ذلك إذاعة العراق الحر على الموجة القصيرة، بين فترة وأخرى:

"هل تعلمون؟" ينبري سراج من مكانه، حيث يجلس على صفيحة سمن، ليس بعيداً عن النار، فيلتفت إليه الآخرون باهتمام ضئيل، متوقعين الترهات نفسها التي اعتاد أن يتفكه بها، كلما ساد الصمت بينهم، فقال قبل أن يطلب أحدهم أن يلغوا الشيطان، لأنه يستغل فترات الصمت المبهمة تلك والمفاجئة التي تسود بين أكثر من ثلاثة أشخاص:

"القتلتان النوويتان اللتان ألقاهما الأمريكان على هيروشيما وناكازاكي هما بالحقيقة عبوات شطة حارة ماركة الديك الأحمر!"

أحياناً، يخرج عن الإطار الذي يظهر فيه، كأنه ستاند أب، يروي يومياته الهزلية عن الشطة والأكل الحار، بطريقة تفتقر إلى الحرفية، ويجنح نحو الجدية، بينما هو يفصح عن أمنيته، للمرة الألف، بالهجرة إلى أمريكا، والعمل في مصانع لويزيانا الشهيرة، ويعيش هناك عيشة رغيدة، قريباً من روائح التوابل الحارة والشطة اللذيذة والأشهر في العالم.

"لماذا لا تذهب إلى الهند؟" يسأله أحدهم ساخراً بمرح : " هناك حتى الأيس الكريم حار، من المؤكد أنك ستتحول إلى تنين يا صديقي"

تلمع في السماء اطلاقات وتخبو سريعاً. يتفرق الأصدقاء كلّ إلى بيته. وفي صباح اليوم التالي يستيقظ سراج الدين على صوت لغط في الشارع، قبل أن يفهم من زوجته أن الثوار فتحوا مخازن المون على ضفة الشط للناس، لكي يأخذوا من الأغذية المخزنة فيها، والتي نُهبَت من الكويت في وقت سابق، بعد احتلالها من الجيش العراقي. الحارة، لا بد أن تكون مخزونة في ذلك المكان. هرع من فورهِ، ووصل إذ لم تكن المسافة بين المخازن وبيت ذويه طويلة.

يعشق الشطة. وإذا أعجبته امرأة وصفها بأنها حارة مثل شطة، كأنه يصف ظهيرة تموزية من ظهيرات البصرة القانظة، وليس امرأة جميلة غمزت له، فكان من سوء الحظ الذي رافقها في ذلك اليوم، أن شخصاً نعتها بذلك الوصف، فأحسست كما لو أن لذعاً اخترق طبلتي أذنيها بإحساس لا هب.

قال بصوت يانس منهك خرج من بين ساقيه: "لكني لست هندياً!"

ابتكر جلاده طريقة جديدة بالتعذيب:

"سأرى إن كنت هندياً حقيقياً أم مزيفاً يا عبد القضيبي" يقول له الجلاد.

"هل ستشفتني؟" يسأله.

"لا، سأقيس هنديتك فقط" يجيبه الجلاد وملء فمه قهقهة خبيثة.

كان يحدث جروحاً في جسده ويمرر عليها أصابع فلل شديد الحرارة، وعادة ما تكون تلك الجروح في ظهره، لكي لا يطول لسانه طعم الفلفل. الأمر الذي كان عذابه أمض عليه من تبضع ظهره بموس عمليات جراحية، إذ كان سراج يبكي حسرة لمجرد أنه لا يستطيع لعق جراحه، والحصول على تلك اللذة العارمة التي توفرها حرارة الفلفل.

"الآن، أثبتت أنك هندي بمعنى الكلمة!"

(4)

بعد عام قضاه سراج الدين في السجن، قُتل خلاله أغلب المعتقلين الذين كانوا معه من دون محاكمات، أو ماتوا من فرط التعذيب، صدر بحقه حكماً بالإعدام شنفاً حتى الموت. مرض، نحل، وبرزت عظام وجهه على نحو ما يبدو عليه ضحايا المجاعات، حتى أن سجانيه أشفقوا عليه، وتوقعوا موته قبل أن يصل إلى حبل المشنقة. لم يزره أحد من أهله طوال فترة سجنه، باستثناء زوجته التي، كما لو أنها تكلفت عناء تلك الزيارة لا لأجل شيء، سوى سماع وصيته المتكررة بالحفاظ على كثره الجهنمي، سائل الجحيم ومساحيقه الكريهة، عشقه الأول والأخير الذي أخلص له وتفاني من أجله، وها هو الآن يقذفه بذروق التنايين الملتهب. وهي منذ ذلك اليوم، قبل ثمانية أشهر، لم تعد لزيارته أبداً.

قضى سراج ليلته الأخيرة، في زنزانة تضم محكومين آخرين بالإعدام. سمع أحدهم يرتل بصوت متهدج: "يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم" كما لو أنهم سيقتادونه إلى المحرقة، وليس إلى حبل يتدلى من علو وينتهي بأرجوحة

الموت التي تسمى شناعة. تذكر جدته، والمرّة الأولى التي أحرق فيها الفلفل حلقه وعينيه، وكمادة الثلج التي كانت تمررها على جفنيه وهي تقرأ تلك الآية القرآنية. دمعت عيناه، تمنى لو يتوقف قلبه في تلك اللحظة، وكانت أمنيته الأخيرة أن يتذوق من شريحة مانجا حارة متبلّة بالخردل. فاجنه صوت جهوري حاد وهو ينادي: "إبراهيم اسماعيل ناج!" فهض السجين الذي كان يطلب بتوسل من النار أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم، نهض متثاقلاً، واقتاده حارسان عبر الممشى المبلط بكونكريت صقيل إلى غرفة الإعدام. لم يكن يعرف سراج تسلسله، وربما لم يعد يعبأ بذلك ما دام أنه سيموت في النهاية.

لكنه، وبعد أقل من ثلاثين دقيقة، سمع صوت المنادي نفسه يتلفظ اسمه بنبرة إعلانية، كأنه يكشف بذلك اسم احد الفائزين بقرة.

اقتاده نفس الحارسان. كانا يسكانه من ذراعيه، متهالك القوى، بالكاد يتنفس، يسح بقدميه على أرض الممشى المفضي إلى غرفة الإعدام.

"أشكر ربك يا رجل" قال المنادي.

كان يمشي ورائهم بكامل قيافته، حليق الذقن، كثر الشارب، تنبعت من ثيابه رائحة قولونيا لأدعة: "أشكر معبودتك البقرة أن لكم بلاداً تحترم الإنسان مثل الهند، وتقدر مواطنيها إلى هذه الدرجة. فعلى الرغم من عدد نفوسها الهائل - ملياراً؟ ليس كذلك يا عبد البقرة؟ - لكنها طالبت بحياتك. لا بد أنك شخصية مهمة، لكي يطالب بك رئيس وزراء بلد عظيم مثل الهند، أم أنا مخطئ؟. صحيح، يقال أن بعضكم يعبدون الأعضاء التناسلية! هل حقاً؟ هل حقاً ذلك؟ أم أنكم تفعلون ذلك لمجرد رغبتكم بالتقبيل؟"

اجتاز الحارسان غرفة الإعدام، ودخلا به ممراً آخر يفضي إلى رحبة، حيث تنتظره هناك سيارة مرسيدس بيضاء، وثمة رجل بالزي الرسمي، ذو سحنة سمراء، يلصق باطناً كفيه ببعضهما، إلى مستوى الصدر، مبتسماً، هازماً رأسه بثاء أمام ضابط أمن عراقي من دون رتبة.

"لا تنس يا عبد البقرة" همس حاجب الموت في أذن سجينه السابق مودعاً: "سلم لي على اميتاب باتشان!"

• قاص وكاتب عراقي

## تشابه أسماء!

❖ عامر العبود



ويعيد كتابة الجملة ذاتها، أخيراً تجرأ وسأل الحارس:

"منذ أيام قال المحقق أنني سأخرج صباحاً، متى هذا الصباح؟"

ضحك الحارس بسفالة كعاهرة: "ألم أخبرك، لست أنت المقصود، بل محمد آخر..."

لا داعي لوصف الخيبة! اتجه إلى الحائط، ومسح جملة (الخط الأخير اليوم 253)، ثم مسح كل الخطوط التي رسمها، ورسم خطأ واحداً كتب فوقه، (اليوم الأول... خطأ أوفراً يا محمد، وتذكر أن تغير اسمك).

• كاتب سوري

هذا المكان، ثم بدأ يفكر في أول مكان سيذهب إليه فور خروجه:

"لن أذهب إلى البيت، سأذهب إلى حمام السوق أولاً لأرفع عن جسدي قذارته، ثم إلى الحلاق، ربما أذهب إلى السوق وأشتري هدية ما لولاء، هل كان اسمها ولاء أم آلاء؟، لا يهم، المهم أنني على وشك الخروج، كنت أعرف أنني سأخرج، لا بد أن أمي حزينة، ستفرح بزيارتي أكثر من زيارة الكعبة، أقسم أنني سأبني غرفة على السطح بلا جدران، لعنة الله على الجدران"

فكر بكل شيء، وضع خطأً لعشرة سنوات قادمة، وغرق في الخيال، فقلبه النعاس، أخرج قطعة الكلس من حفرة صغيرة أسفل الجدار، ورسم خطأ مانلاً بجانب الخطوط الكثيرة التي تدله على الزمن، وكتب بجانبه (الخط الأخير اليوم 241)، ثم انفجر نوماً، كما لم ينم منذ اعتقدوا أنه محمد آخر.

ثم استيقظ، ونام، واستيقظ، ثم نام... إلخ، وفي كل مرة كان يسمح الجملة عن الحائط، ليرسم خطأ جديداً،

مصراته وفق ساعته البيولوجية، خاصة بعد أن انتهت مرحلة التحقيق، ودخل بمرحلة الاحتجاز لأجل الاحتجاز، وفي ذلك اليوم الجميل استدعاه المحقق إلى مكتبه في غير الأوقات المعتادة التي برمجهما في عقله، ظن أنهم سيستأنفون التحقيق معه، لكن المحقق كان مباشراً، ولم يقم بعملية التشويق المعتادة في برامج المسابقات، بل قال بكل بساطة:

"جهز نفسك، ستخرج صباحاً"

استحضر محمد كل عبارات التسول والدعاء والاسترضاء والتلمق التي حفظها في حياته، وبصقها دفعة واحدة في وجه المحقق، ثم في وجه السجن الذي أعاده إلى زنزاناته، وأحكم إغلاق الباب عليه، فركع على ركبتيه وقدم لله ما يستحقه من الشكر والتناء.

بعد دقائق هدا الفرح، وعاد العقل إلى حيز الاستخدام، كانت أول معضلة واجهها في الوقت، فهو يستطيع تقدير الفاصل بين حدث وآخر، لكنه لا يعرف كم الساعة الآن، ولا يعرف كم تبقى من الوقت للصباح الذي سيشهد خروجه من

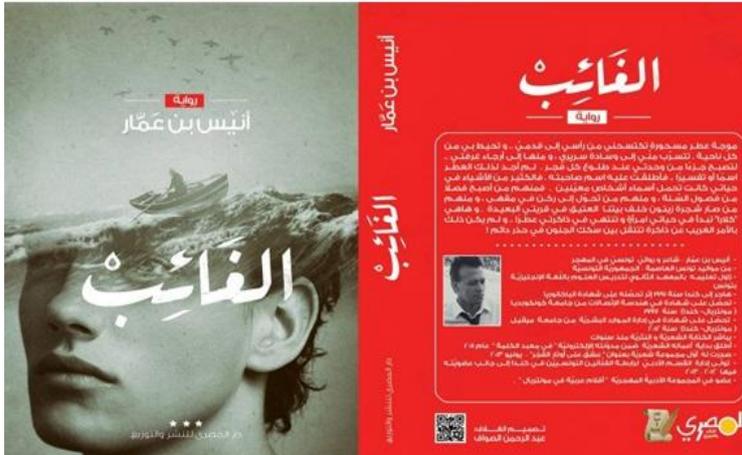
مصيبة أن يكون اسمك محمد في بلد مسلم! ومصيبة أكبر أن تكون شهرتك الحمصي أو الحلبي أو المصري... إلخ، لكن نعمة تشق المصائب أن تكون في زنزانة منفردة، تملك فضاءها وحدك!

كانت الزنزانة ضيقة كقبر، وباردة كقبر، وفيها من العذاب ما لسكرات الموت، لكن محمد كان متفانلاً، فهو مواطنٌ صالح، لم يشتم أحداً، ولم تعرف حنجرته الهتاف، ولا حملت أكتافه رجلاً عصبياً يريد إسقاط قطعة من التاريخ بالصراخ، ولا بد أن المحقق سيدرك أن محمد مواطنٌ صالح، ولا بد أن تلك الأذان المزروعة في الجدران لم تستطع أن تلتقط كلمة واحدة من فم محمد تهين أو تشتم، ولأن محمد مؤمن بقدرته المخابرات على معرفة الحقائق، كان متفانلاً جداً بأنه سيخرج خلال شهور قليلة من تلك الزنزانة الجميلة كقبر!

كانت الزنزانة بلا مرحاض، وهذه مشكلة حقيقية، تكاد تفوق بعظمتها كل المصائب، لكن محمد تأقلم مع أوقات الدخول إلى الحمام، واستطاع أن يضبط

# شخصية «اللابطل» في رواية الغائب لأنيس بن عمار

❖ لولوة أبو رمضان



إسبان من عمره (أراد أن يتقاسم معهم يوم هروبهم من المدرسة كمرافق كشاب عادي، ساتخيل أن لي مدرسة وكتياً ودفاتر لا حانة ولا قوارير ولا سكارى) ص 159.

(وجه هافيرير لا يزال مشدوداً محدقاً... أما أنا فقد أدركت أن مستنقع الكذب الذي استقيت منه تفاصيل قصتي الوهمية قد اوشك ان ينضب) ص 186. شخصية نلمح فيها الاستغناء عن مبادئها وقيمها تسعى إلى هجرة أولى مفعمة بالمخاطر فتتألم لتخطط لهجرة ثانية غير شرعية أيضاً تلغي معها انسانياتها بشكل أكبر وأخطر، تسبب أبيها في كل لحظة شؤم وتخبط وتسرق وتقتل وتكذب وتمارس الجنس لتحقق أهدافها بطريقة محتالة وهذا أيضاً ما حدث مع أشرف وكلاهما صاحبة المنزل ليخاطب أمير نفسه ويحلل لنا شخصية أشرف صديقه الوحيد من منظوره الخاص فيقول: (أشرف بنقذنا من الضياع مرة أخرى وفي كل مرة تتزين الخطينة باللون الشاحب للفقير بدأت بطعن الوالد في الظهر ثم مرت بالسرقة والنهب وها هي الآن تتحول إلى رذيلة مع امرأة في سن أمه) ص 43، وتواصل فعل الرذيلة مع كلارا إلى آخر الرواية (...ولكنني قررت أن أنهمك في عملي المعتاد كان علي ككل ليلة أن أصنع لها من جسدي قمما من النشوة حتى يعود إليها عقلها الغائب لمدة سويغات قليلة) ص 365.

شخصيات فنية واقعية يرسمها الأديب دون اهتمام لإنسانياتها فهي مجرد أشياء وتسمى تقدياً بتشويق الأشياء: بأن تصيح في عرف الرواية الحديثة وفي الادب الفرنسي خاصة بأنها شخصيات مفعول بها وليست الفاعلة وهو ما أراده لها القاص والمسرحي الألماني برتولت بريخت، الذي طالب

أمير وشخصية كلارا في تناسق وإظهار تفاصيل للأحداث كلها انسجام منطقي مع بعضها البعض فالعمق النفسي في صيغته الجمالية التي أضفاها المؤلف على أمير وأشرف تظهرهما لنا كشخصية مدورة -أول من استخدم هذا المصطلح كتاب (وجه الرواية) للناقد الإنجليزي فورستر، شخصيتان تتحركان من فصل لآخر ومن حدث إلى حدث تتأثر وتؤثر بما يدور حولها، مما يجعل الأديب يرى زمن المستقبل في الماضي وزمن الحاضر في المستقبل وهي غاية الرواية الحديثة وخروجها عن الزمن التقليدي المتسلسل والمعهود.

## شخصية اللابطل

شخصيتان ديناميكيتان، خص الروائي ابن عمار مهمة الراوي السارد للأحداث لشخصية رئيسة، شخصية (أمير) المميّزة في الرواية، فأضفت على الأحداث عنصر الوضوح وعدم اللبس والأختلاط في الأدوار التي قد نجدها في روايات واقعية أخرى تحمل نفس الهدف و الهوموم، لكن الراوي في رواية الغائب الذي يتخذ ضمير الغائب (هو) يتنبأ ويستبق الأحداث في بعض الأحيان فهو بعمله هذا ينتقص من فنية الرواية وهو أمر غير مرغوب في إظهاره في الأدب الحديث للرواية الجديدة وكأنه انتقاص من عقل القارئ الذي عليه هو أن يستخلص كل ذلك بنفسه (سنتصرف فيما بقي لنا من نقود بحرص شديد الى أن تجود السماء على أحدنا بشغل تحت الطاولة). وكان لي ما أردت..) ص 40.

في هذه الرواية تتصارع الشخصيات مع نفسها من أجل الحياة فيظهر لنا بالتالي وصفاً لصراعها مع الآخرين بطريق متعددة، كتخيل أمير لأحداث جنسية كانت غير محترمة يرويه عن خالته الوهمية ليكسب صداقة شباب

من ألفها إلى يانها بسلاسة الضليع الذي دخل هو وكلماته إلى عمق العمق في الشخصيات، هو (أمير) الإنسان العربي الشقي والشخصية الأخرى المصاحبة له شقية أيضاً ومنحلة في أخلاقها ويدعى (أشرف) - وهو البعيد عن أي شرف يذكر- وجعلهما متشابهتين لكنهما مختلفتين إلى حد طفيف، وإن كانت شخصية كلاهما تكملان الآخر، كما سيظهر لقارئ هذه الرواية هي رواية إنسانية بحتة تعبر عن وحدة موضوعية، زمنها هو زمننا الحالي العصيب والتي تبحث شخوصها المتباينة عن بر الأمان ولا تجده وإن وجدته ستناله بعد عصر في المخاض وأحداث دمار مدمرة لنفوس أصحابها أنفسهم والأشخاص المحيطين بهم على حد السواء.

هو زمن في الذاكرة يستعيد الراوي في الحدث السردى ويتفاعل بطريقة واعية ومجدية لسرد الأحداث عن كذب وهو ما يسمى بتقنية تيار الوعي في الرواية. والأمر اليقين هو أن رواية الغائب هذه - كما هو الواضح - أحدثت اهتزازات شعرية مقصودة انتقلت من الكاتب إلى القارئ، وبلورت عنده أحاسيس فعلية تتعاطف تارة وتشمز تارة أخرى فالتأثيرات البينية من فقر وإهمال وعنف أبوي ومجمعي همش أفراده من الشباب العاطل عن العمل، ليبرز لنا شخصيتين منسلختين عن أية مبادئ أخلاقية أو قيم إنسانية تذكر، فأمر يذكر في الصفحات الأولى للرواية (كنت أكره المدرسة أمة تاكل الضرب في البيت وأنا أكلة في المدرسة. هكذا تتواصل الحياة) ص 15.

نحن هنا أمام نص روائي أدبي بحت وليس وثيقة تاريخية أو اجتماعية لأشخاص هاجروا بشكل لا شرعي، لذا التدوق الأدبي هنا أمراً حتمياً لا مناص منه لما لدى النص من الخصائص الفعالة اللازمة كلغة عربية فصحة متمكنة ومنقاة بشفافية واضحة لا غبار عليها، لغة تجرد شخصياتها من أية جنسية معينة لتجسد مأساتهم التي عاشوها ويعيشها كثيرون من أمثالهم الى هذه اللحظة. وشخصية أشرف فيها صفات معينة لكن تتميز بقدرتها على اتخاذ القرارات، ظهر ذلك من خلال تحاوره المباشر والدائم مع الشخصية الأولى بحيث يتم هذا التفاعل مع شخصية

(لم تكن هناك أسماء حدود وصلنا كما يجب أن يصل أي إنسان إلى أي منطقة في العالم باصرار على الرحيل، وتحذ لكل خطوط الوهم. خطوط رسمها المنتصرون ندوب عار على وجه أرض كانت قبلهم نقية القلب صافية الملامح... تلذذت بذلك الوصول الذي حبكت أنسجته ايادي القدر العابئة وارتيمت في أحضان تلك العذراء لتفعل بجوعي وعطشي وأحلامي ما شاء لها أن تفعل، وفي حمى لقائي بها لم أنس أن أبصق في وجوه كل شرطة الحدود وكل من زرعهم كاشجار الصبار في الصحاري القاحلة لاحلام الضعفاء. بصقت في وجوه كل هؤلاء لأنهم كالصوص يحرسون ما لا يملكون...)

ص 30. مقتطف صغير لقول إحدى الشخصيات المحورية التي تتخاطب مع نفسها وتصور بكلماتها عمق المأساة التي يعيشها شعوب بأكملها في رواية الغائب للأديب أنيس بن عمار. فكما يرى عباس محمود العقاد في مقاله (شعراء المهجر الجنوبي): أن المهاجر الشرعي عامة هو إنسان طليق لا يهاب المخاطر وهو من يدرك بفطرته أن ما يعيش فيه هو المخاطرة لذا يتغرب ويترك بلده.

أما عن المهاجر اللاشرعي فهو من فقد وجوده وكيانه الإنساني في بلاده وفي بلاد الآخرين ليسيّط عليه الخوف والنزعات الشريرة من كل حذب وصوب ويفكر بهجرة غير شرعية مرة ومرتين ولا يابيه فيها لأي موت أو حياة.

هذا هو الوصف الذي ينطبق على الشخصيتين التاهيتين اللتين تتمحور عندهما رواية (الغائب)، رواية مخطط له من شاعر وروائي ولج إلى النفوس المحبطة اجتماعياً والتي تتصارع مع رغباتها الوحشية، للتغلب عليها تلك الرغبات.

## الحدث في الرواية وزمانه

تسير أحداث ومجريات الرواية في أمكنة متعددة تبدأ في مونتريال - كندا ثم تبدأ الشخصية الأولى في الرواية بسرد قصة الشقاء التي كتبت عليه في قريته البعيدة مجهولة الاسم والعنوان ليهاجر منها وينقل بعدها إلى برشلونة وما حدث له من أحداث جسام ومن ثم يعود إلى مونتريال - كندا، رحلة حياتية تمتد أكثر من عشرين عاماً، يسردها السارد والشخصية الأولى في الرواية، يرويهما

والكاتب الذكي هو من يجعل الجنس في روايته عنصراً يضيف للمتلقى فكراً آخر وكما هو واضح هنا أنه طوق نجاة عند أحد الشخصيات الهامة في الرواية ومكماً لفهمها أكثر، وهو غوص متعمد من الأديب في النفس الإنسانية المهزومة في مجتمعات والمجتمعات الغربية، لذا هو ليس نمطاً تسويقياً للرواية أو فكرة مقحمة، فالرواية الحديثة الواقعية تتقبل ذلك عن طيب خاطر لأنها ليست منبراً للفضيلة وليست مكاناً للدعوة إلى الرذيلة والاسلاخ عن الأخلاق والقيم التقليدية، لهذا وجب أخذ منحى الوسطية لا إسراف فيه ولا إسفاف وإن كانت رواية الغائب قصة مأساوية تثير الرحمة والخوف من خلال شخصها فتؤدي إلى التطهير أو الطرد والابتعاد عن فعل الشيء كما عرف عند أرسطو (Katharsis) وذكرها الدكتور بدوي طبانه في كتابه النقد الأدبي عند اليونان بلفظة، هي رواية تستحق القراءة والتذوق الفني الصحيح.

• كاتبة وناقدة فلسطينية

والى أن استقرت الأمور وهذأت عند أمير ليأتي الراوي والذي هو الأديب نفسه أنيس بن عمار ويروي حالة أمير البانس من كل شيء، فقط في آخر فصل للرواية (عشرون عاما منذ وصوله إلى مونريال وهو يمارس نفس نفس العادة التي أدمنها جميع سكانها: عشقها في الصيف ولغنها في الشتاء...) ص 411. ومن الملاحظ أن المكان في برشلونه هو المحرك الأول والوحيد لوجود البعد الجنسي في هذه الرواية وظهوره أكثر من مرة وتوظيفه كنمط أدبي جمالي يُراعى فيه الشروط الفنية في اللغة بالا تكون مبتذلة ولا تثير الغرائز الفردية عند القارئ ويزيد من فهم القارئ لهذه الشخصية الجائعة للمال وللجنس معاً، حتى تنال مأربها كشخصية أشرف بشكل خاص وهي شخصية مهمة في الرواية وهي التي كانت تمارس الجنس مع كلارا العجوز لتبقي على وجودها ووجود صديقها أمير في المنزل وفي العمل لاحقاً ومن ثم الوعود الكاذبة لها بالزواج منها لتفريق مأرب أخرى، فالجنس أداة لحمايتها وتدمير شخصية مريضة نفسياً مثل كلارا ليتحقق حلمها بالهجرة غير الشرعية إلى كندا (قلت في نفسي أسبوعان وستقدم لهذين الجسدين الرخصين ورقة استقالتك للأبد) ص 358.

الاسباني (سانتو) وقبض على الشاب الصومالي الذي ظل صامتاً ولم يقبض على أمير فقد ظنه الشرطي أنه خوانيتو مدير الحانة، فعيى شخصية مسطحة لا يراها القارئ بشكلها الكامل إلا كما يريد لها المؤلف أن ترى حتى تخدم أهداف الرواية وتنفذ الشخصية الرئيسية فيها وتخلق صراعاً سلبياً في نفس أمير لتظهر فوراً رغبة القتل لشرطي الهجرة (سأخذ السكين في كتفه اليمنى سيتلوى ألماً دون شك عند ذلك ستكون الفرصة سانحة وأطلق ساقي لظلمة الأزقة المتوتية) ص 298. لنرى أن جولدمان الناقد الفرنسي يحذو هو ومدرسته الهيجلية التي تهتم بالضرورة القصوى لدى الأديب بنقل رؤية العالم عن طبقة معينة ويصغيها بطريقة كاشفة وجريئة تولد أفكاراً في عقل القارئ وهو ما سنكتشفه عند قراءة متمعة لرواية الغائب.

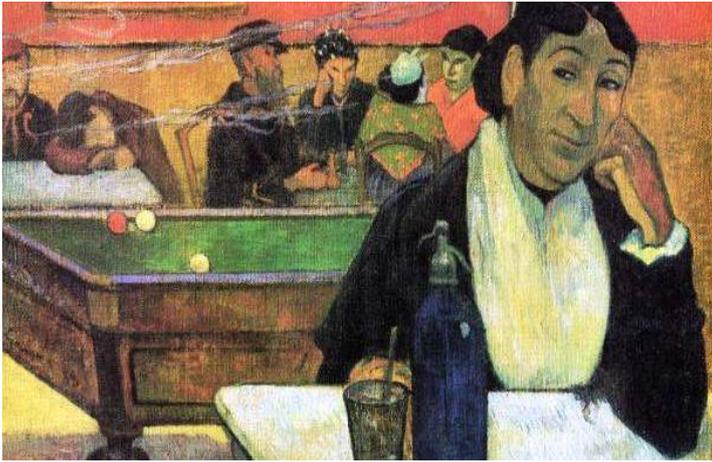
#### أهمية المكان

ولا ننسى أهمية المكان في رواية الغائب فهو ليس فقط مساحة من فراغ تتحرك فيها الشخصيات وإنما هي شخصية حية لها جوهها النفسي لتترك أثرها السلبي الواضح على كلا الشخصيتين الرئيسيتين والممزقتين من الداخل والناقمين على كل مكان جميل

بتسليط الضوء على ما يلامس الواقع واستنطاق دواخل الشخصيات وتقديمها بصورة تجذب القارئ. فالشخصية الرئيسية في رواية الغائب ليست هي البطل الذي يحمل معه البطولة والفضائل كما كان يظهر في الروايات التقليدية فما نراه ونحس به في الرواية وما نلاحظه هو واقعيتها المؤلمة هو اكتشاف للعلل والمعلومات في مجتمعاتنا العربية الفقيرة وحتى المجتمعات الغربية التي تظهر معها كرهها واستعلاءها على المهاجر واستغلاله إلى أقصى درجات الاستغلال اللادمي وهو ما حدث لعيسى شخصية ثانوية كادحة هو طباطخ صومالي يعمل في مطبخ البار ولكن يعمل بالخفاء ودون أوراق لذا هو يعمل تحت الطاولة (لا حديث ولا تنفس تحمل ما يضعوه فوقك ولا تنطق) ص 85.

شخصية أخذت حيزاً في الرواية، أحببت عملها البسيط لتتعلق بحب فتاة إسبانية بالصدفة البحتة اسمها روزيتا (دون سابق تمهيد... وعندما تهب جيوش العشق على أراضي قلبك الجرداء كسرب من الطائرات دون صفارة إنذار...) ص 246، حب من طرف واحد لم يدم بسبب بوليس الهجرة الذي باغت الحانة فجأة بوشاية من زميله

## حانة قذرة، شخوص دوستوفسكي، ومقعد مناسب



#### ❖ نور شنتوت

وحقيبتها وكتبها، وتطير وتعلو وتهبط على البار أو المرقب - مكان عالٍ تتوقف عليه للتسع الروية للمراقبة. فتطلب كأساً... المقعد المناسب المحجوز تتوقف عن الكتابة، حجبها بنظرة حادة، وهي تنظر وتشاهد وترى وتحقق رفقته. لم يشعر بالارتياح عندما دخلت وتداخلت رانحتها مع شخوص دوستوفسكي والرائحة وأفكاره أو حتى عندما رفقته. أما النادلة اللطيفة السمينية فتعاملها معاملة خاصة ولكن بحذر، ماذا تفعل فتاة مثلها في مكان كهذا في ساعة كهذه؟ ليس مهماً... من المهم أن تخرج من هنا بسلام وبأقل خسائر ممكنة. تقدم لها النبيذ دون أن تضرب به الطاولة كما تفعل عادة مع زبائنها المدمنين. تراءى لها في تلك اللحظة بالذات، أن ما حولها أحسن من حالها، فهم متمرعون بالبؤس بحيث لا يرونه تعايشوا معه و أهدافهم هي فقط ما تصيبه سهامهم في تلك الحانة، أما هي فتسأل وتحلل وتصارع كل شيء حتى البؤس فتراه من الخارج إلى أن تصل إلى ال... الكلب ببول في الغرفة مقاطعاً أفكارها

حانة قذرة، كلب، وأوراق لعب، شخوص دوستوفسكي، ونادلة لطيفة وسمينة، رائحة عفن، غبار، وقهر، ضوء خافت يختلط بضوء سيارة عابرة وزجاج ومارة. الكلب يعوي مصاحباً دخولها الخشبية. يخرجان سوياً إلى الغرفة الفارغة في الزاوية وراء الستائر جانب الحمام، الكلب يشمها، فتتحرك الكأس الفارغ على الطاولة وتضعه في منتصف المربع الأخضر على الغطاء وتزيحه ليتلائم مع حواف الطاولة، السهام تضرب الجدار، والأوراق تتساقط محرقة الرائحة، وستائر تمنعها من المراقبة، فالمقعد المناسب محجوز.

يزداد الطرق على الطاولة والصراخ، هي معتادة على الروية من فقاعة واحدة صفراء، كانت تنفخ فقاعات مشاهدة كيف يفقنها أصابع الغريباء، الهواء، أو الزمن، تاركة مسافة أمان بينها وبين "الأخر" - والأخر يتراوح بين بائنة الخضار وحبيبتها - لكنها تكره هذه الكلمة، هي لا تحب التسميات بشكل عام وتفضل الأسرة المنفردة. فما الحاجة إلى الغرفة بجانب الحمام؟ تلمن نفسها

هوايتها الجديدة: الاستماع إلى أحاديث الغريباء، تفهم بعض الكلمات وخيالها يتولى البقية. هم يزدادون احمراراً، والأوكسجين ينفذ من قناع غوص المقعد المناسب المحجوز، لم يعد يرى غيرها، حوّلت بحره إلى مستنقع، حولته من المراقب إلى المراقب وكشفاً بعضهما الآخر. هو يذهب وهي تبدأ الكتابة: حانة قذرة، شخوص دوستوفسكي، ومقعد مناسب محجوز.

• خاص مجلة قلم رصاص

# الفنان التشكيلي السوري محمد صفوت: قدرنا أن نكون مستهدفين بالموت والقتل والدمار

✦ حوار: رئيس التحرير



سبق الإصرار والترصد وللأسف لديهم رغم بشاعتهم قدرة على تسويق أنفسهم فهم يحظون بدعم مادي وإعلامي ولهم من يروج لهم ولأعمالهم وفي النهاية يدفع الضريبة المشاهد، أما يد الخير والجمال والفن الحقيقي ما زالت تصفق وحدها مع الأسف.

- وُلد محمد صفوت في مدينة حلب، وعاش في مدينة الرقة، كلاهما اليوم تتعرضان للدمار ما رسالتك للشهباء ودرة الفرات؟

- قدرنا أن نكون مستهدفين بالموت والقتل والدمار، مدينة حلب غنية عن التعريف والإشادة، هي مدينة التاريخ الحضاري العريق، وعاصمة للثقافة والفن، ماذا فعلت حلب ليحكم عليها بالموت والدمار، حلب مدينة السلام والإسلام الصحيح وهذا لا يروق للجنة الحافدين، أما مدينتي الثانية الرقة الحبيبة وأهلها الطيبين، الرقة درة الفرات و قبلة المتقنين والأدباء والفنانيين، مدينة الفن والإبداع عشت فيها ثلاثة عقود وهي أجمل سنوات عمري ولي فيها أهل وأحباء وأصدقاء وزملاء لن أنساهم ما حييت، ويبقى صديقي الكبير نهر الفرات العظيم بيني وبينه الكثير من الحكايات والأسرار الوردية، اشتقت لضفافك أيها الفرات الخالد. اشتقت إليك.

لم تكن في حدودها الجغرافية فقط بل كانت هجرة لكل معاني القيم والإنسانية الحمد لله أني لست بحاجة إليهم بشيء لكني اشتاقهم جميعاً، واحمل لهم كل الحب والمودة متمنياً لهم التوفيق أينما كانوا، وهذا الكلام ليس عاماً لأن هناك من بقي وفيّاً للصداقة التي جمعنا يوماً ما.

- هموم الفنان كثيرة على الصعيدين العام والشخصي، ماذا عن هموم محمد صفوت؟

- الهموم كما قلت يا صديقي كثيرة، والأوجاع هي الأوجاع، ما رأيك أن نتركها ولا نتحدث عنها، أرجوك. - حسناً بكل تأكيد.

- من خلال تجربتك القيمة ومتابعتك الحثيثة للحركة الفنية العربية ما هو تقييمك للواقع الفني العربي الحالي؟

- أنت تعلم جيداً أن مهمة الفنون الجميلة الأولى هي نشر ثقافة الجمال في مجتمعاتنا، وليست مهمتها إقامة المعارض ورسم اللوحات من أجل التسويق والاحتفالات والمهرجانات، إذاً للفن قيمة جمالية أولاً وأخيراً، لغة الجمال شرط أساسي وهي اللبنة الأولى في بناء الإنسان والحياة، ولا يمكن بناء حياة جميلة بإتسان يعتره القبح ويفوح منه الفساد وهذه السمة هي الطاغية منذ سنوات، وكما يقال كن جميلاً ترى الكون جميلاً، لكن لا حياة لمن تنادي ومضى قطار العمر سريعاً ولم نصل بعد إلى نقطة البداية، ما زالت أنياب القبح والبشاعة والتخريب هي الأقوى.

ربما يبدو هذا الكلام مثالياً للبعض لكنها الحقيقة والحقائق لا مفر منها، إنها موجة الحداثة والفرصة المثالية لبعض المرتزقة، وهم في الحقيقة لا يمتون للحداثة الحقيقية المطلوبة بصلة، وما أرى فيهم إلا قراصنة الفن التشكيلي الحديث، مهمهم الوحيد نشر القبح مع

وعائلتي جراء تلك الحرب، وللأسف من يطالبونني هم فنانون وزملاء لكن لا هم لهم سوى جباية المخالفات الديكورية مثلهم مثل جباة قواتير المياه والكهرباء ولا شيء آخر للأسف الشديد.

- هل سنرى معرضاً جديداً بتوقيع محمد صفوت في الأيام القليلة القادمة؟

- بصراحة كل فنان يتوق إلى عرض نتاجه للناس لكن الظروف العام والخاص لا يسمحان بذلك، اكتفيت بالمعارض الجماعية مع الفنانين والزملاء اللبنانيين علماً أنه كان لدي من الأعمال ما يكفي لافتتاح ثلاثة معارض وأكثر، إلا أن معظم اللوحات صودرت على حواجز لم نستطع تحديد هويتها، أثناء نقلها من حلب إلى بيروت، لكن فكرة إقامة معرض فردي ما زالت قائمة وسيكون ذلك ما أن تسمح الظروف.

- كتبت منذ مدة على صفحتك الشخصية في الفيسبوك صديقي الوحيد المتبقي هو ابني جود صديقي، أين أصدقاء محمد صفوت في ظل هذه الظروف الصعبة التي يعيشها؟

- أنا مؤمن بالصداقة والأصدقاء ولا يمكنني العيش بلا أصدقاء، لكن يبدو أن حظي سيئ في هذه أيضاً، فقد كنا في الماضي أسرة واحدة ومسيرة حافلة بالنجاح، تجمعا الآلام والأمل والقواسم النبيلة المشتركة، يبدو أن الهجرة إلى الغرب تفسد القلوب وتشوه الحنين والإلفة، نحن فنانون لا نحتاج أحداً في أي ظرف من الظروف ولا نملك إلا لغة المشاعر والمواقف النبيلة والإحساس المرهف تجاه المجتمع والحياة، ومن يعرفني عن قرب يعرف مدى علاقتي بهؤلاء الأصدقاء، لكن للأسف الهجرة



الفنان التشكيلي السوري محمد صفوت، المولود في حلب عام 1949، أو «شيخ البورتريه» كما يسميه بعض الفنانين لبراغته في هذا المجال، يُعتبر صفوت من الرعيل الأول أو جيل الرواد في الفن التشكيلي، وهو من أهم فناني التصوير الزيتي، تتلمذ على يديه معظم فناني مدينة الرقة السورية، وقد ساهم بتأسيس تجمع فناني الرقة في العام 1976، حال صفوت لا تختلف كثيراً عن حال المبدعين في بلاد شرق المتوسط، تعرض للكثير من الخيبات والانتكاسات، ولعل آخرها في الحرب السورية، إذ قامت إحدى كتائب المعارضة المسلحة في حلب باختطاف زوجته وطفله الصغير «جود» طلباً للهدية، ولم يُفرج عنهما إلا منذ فترة قصيرة بعملية تبادل أسرى بعد اختطاف دام سنوات، مجلة قلم رصاص الثقافية حاورت الفنان محمد صفوت الذي يعيش وحيداً في مرسمه بمدينة بيروت:

- عانيت من جراء الحرب السورية، تعرض طفلك وزوجتك للخطف من قبل إحدى كتائب المعارضة المسلحة في حلب طلباً للهدية، ماذا تقول عن ذلك؟

- أتمنى أن تعفني من الإجابة عن هذا السؤال، رغم أنهم نالوا حريتهم إلا أنني ما زلت أخاف عليهم، أتمنى أن تقدر موقفي. - حسناً بالتأكيد.

- كيف ترى انعكاس الحرب على الحياة التشكيلية في سورية؟

- أنت تعلم معنى الحرب وما فعلته بنا، ماتت الحركة التشكيلية منذ سنوات طويلة، وكما ترى الآن نحن مشردون ولا يُمكننا النهوض بها في ظل هذه الظروف الصعبة، بعد كل هذا الموت والدمار بالكاد ننهض بأنفسنا.

- ماذا عن دور اتحاد الفنانين التشكيليين في سورية؟

- للأسف أقولها بحيان وخجل من هذا الواقع لكنها الحقيقة المرة، اتحاد الفنانين التشكيليين في سورية ليس سوى لافتة فقط، مكتوب عليها اسم هذا الاتحاد، أو مُلصق مناسبي، وهو خال من أي محتوى فُعال يستحق الوقوف عنده، والفرق كبير جداً بين واقع الاتحاد ونظامه الداخلي، الواقع غير ما هو مكتوب على الورق، إيجاد فرص عمل، وراتب تقاعدي يحفظ كرامة الفنان في كبره ويحميه حين يطعن في السن، والمُضحك المبكي أن فرع الاتحاد في حلب يُطالبني بدفع رسوم الانتساب السنوية التي تأخرت بدفعها نتيجة ظروف الحرب والمشاكل التي عانيتها



## أطلقوا الرصاص على الصقر غنّام فأردوه قتيلاً؟



الرواية بجملة «إنها حيوانات متوحدة، كائنات مفترسة منتهزة للفرصة»، هو وصف مذکور حرفياً في صفحة «ثعلب» على ويكيبيديا. وكذلك المعلومات في المعلومات في صفحة 89 عن جربوع الصحراء مأخوذة كفقرة كاملة حرفياً من موقع «الموسوعة.كوم».

وبالمناسبة ما هو مكتوب في صفحة 25 و26 عن صيد «الطرح»، وهو طريقة من طرق الصيد بالصقور هو جزء من رواية «سلطانات الرمل» للروائية لينا هويان الحسن صفحة 184. انتهى الاقتباس.

وأضافت سويدان في مقالتها: "جميل أن تقدم الروائية في روايتها الأولى للفتيات والفتيات والمرشحة لجائزة الشيخ زايد للكتاب فرع أدب الطفل، هذا الكم من المعلومات العلمية عن حيوانات الصحراء، ولكن جيل الانترنت الذي يعرف البحث عبر غوغل، والذي يفترض أن يتم تشجيعه على الاستزادة، ألم يكن من الممكن الإشارة له أن هذه المعلومات مجرد «مقتطفات» من مادة علمية أكبر يمكن للقارئ الصغير التوسع فيها عبر البحث، مادامت الكاتبة منشغلة في روايتها كم يبدو بتعريف القارئ على العالم الطبيعي للصحراء وكاناتها؟!".

بدورها لم تسكت الروائية لينا هويان الحسن وكتبت رداً لجريدة القيس نقبتس منه: "بالتأكيد لأجل الكتابة عن الصقور لا يتحتم علي اقتناص صقر ومعينته وتشريحه وقياس جناحيه وطول ذيله بالمسطرة لأجل أن يكون من حقي كتابة المعلومات؟! لا يخفى على أي ناقد محترف أو حتى

عندما أعلن القائمون على جوائز الشيخ زايد للكتاب عن القائمة القصيرة المرشحة لنيل الجائزة في الأول من شهر آذار / مارس الماضي، كانت رواية السورية لينا هويان الحسن «البحث عن الصقر غنّام» الصادرة عن دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت 2015، تتصدر تلك القائمة في فرع أدب الأطفال واليافعين، وتتنافس مع روايتين لبنانية حملت عنوان: «طائر الوروار» للكاتب اللبناني حسن عبد الله، من منشورات أكاديمية إنترناشونال، بيروت 2015، والأخرى سعودية حملت عنوان: «عيد في إبريق»، للكاتبة السعودية نوف العصيمي، صادرة من منشورات كادي ورمادي للنشر والتوزيع، جدة 2014.

إلا أن الصحفية ليلاس سويدان التي تعمل في صحيفة القيس الكويتية كان لها رأياً مُغايراً لرأي لجنة التحكيم، فقد كتبت مقالاً في الصفحة الثقافية حمل عنواناً استفهامياً: «لينا هويان الحسن نقبتس حرفياً.. البحث عن الصقر غنّام أم البحث في ويكيبيديا؟».

أوردت ليلاس سويدان في مقالتها مقتطفات من رواية «البحث عن الصقر غنّام» مؤكدة أن هذه المقتطفات مأخوذة من الموسوعة العالمية ويكيبيديا، وما جاء في مقالتها نقبتس، "الفقرات هي مادة علمية في وصف بعض الحيوانات أو التعريف بها. ومنها صفحة 63 التي تصف «ظباء المها»، وكذلك فقرة من حوالي تسعة أسطر في صفحة 28 تصف الكلب السلوقي. بينما كل المعلومات عن النعامة في صفحتي 51 و 52 و 53 هي من الويكيبيديا أيضاً ومنقولة حرفياً في أغلب الفقرات ويتصرف بسيط في فقرات أخرى. حتى وصف الثعلب في صفحة 70 من

الكون، غير المرأة من المرأة شاسعة لا حدود لها، فما بالكم إذا ارتدت المرأة الغيرة والناقمة قفازات النقد".

وفي بوست آخر كتبت: "الموشومون بالكره، بالحدق، بالنقمة، اولئك الذين فشلوا بصياغة أحلامهم، فينتقمون من أحلام الآخرين، اولئك الذين لم يفلحوا بأن يكونوا أكثر من سحابة خريفية ثقيلة، تحجب الضوء دون أن تمطر، اولئك الكلاب التي تعيش حسرتها وهي ترقب القوافل التي تبلغ الواحات المفقودة". وكتبت أيضاً: وتخب القافلة في ببداء الأزل تتبع القمر الجميل الذي لا يسمع نباح الكلاب".

رغم أن الروائية لم تذكر الصحفية بالاسم لكن كانت الإشارات واضحة عبر التعليقات، ولا تلام الحسن لأن جائزة الشيخ زايد للكتاب قد حجبت جائزة أدب الطفل لهذا العام، وقد كانت روايتها قاب قوسين أو أدنى من الفوز بالجائزة، إلا أن ليلاس سويدان ولأسباب غير واضحة وقبل أيام قليلة من إعلان النتائج النهائية للجائزة أطلقت نيرانها على الصقر غنّام فأردته قتيلاً!!.

• خاص مجلة قلم رصاص

قارئ عارف أن الطريقة التي تمت فيها محاكمة عملي «البحث عن الصقر غنّام» كفيلة برمي أكثر من نصف الأدب العربي والعالمي بسلة المهملات.

أتحدى أي ناقد مختص أن يثبت أنني ارتكبت مخالفة أدبية حقيقية في «البحث عن الصقر غنّام»، حيث كتبت نصّاً معرفياً بقالب أدبي مهمته تثقيف الطفل وإطلاعه على معلومات دقيقة وسليمة وصحيحة، وغالب المعلومات ذكرت على لسان البطل كمعلومة تارة قالها له خاله وتارة قالتها جدته، أي لم أزعم أنني ولدت من بطن أمي وأنا أعرف كل شيء. يا حيداً لو تبدل جهوداً موازية لجهود الكاتب العربي الذي يستحق نقداً لا محاكمة ومقاضاة لا مبرر لها. باختصار عندما نقطف زهرة من حديقة جارنا علينا أن نستأذنه لكن نقطف زهرة من البرية أمر طبيعي ومن حق الجميع".

رغم ردها على ما ورد في مجلة جريدة القيس إلا أن غضب الحسن بدا واضحاً وعبرت عنه من خلال صفحاتها الشخصية على الفيسبوك، وكتبت: "كما



## Gallery



## ❖ وسام علي

## مرآب

- (1) بينما ينشغل السائق بتركيب قدمه الجديدة. تطلق السيارات أبوابها احتفالاً بذلك.
- (2) السائق يضع الفاليوم في إطاراته الجديدة.
- (3) الكلب "حارس المرآب السابق" أجلس مكانه، مرتدياً رأسه.
- (4) الميكانيكي في عيده الثلاثين.. نشعل له علبه بنزين.
- (5) في المرآب تقف السيارات بطابور المرحاض.
- (6) السياج الذي يحيط المرآب مصنوع من الاسفلت للصاعدون الى السماء من الجنود.
- (7) باب خروج المرآب على شكل بالوعة . الواقفون على الرصيف صراير فاتنة.
- (8) باب الدخول الى المرآب عبارة عن حلقة نارية العابرون هم الناجون، الحشرات تخشى النار.
- (9) الذي ينظم وقوف السيارات حاتوتي سابق يلصق على صدره عبارة "أنا أكره الجميع".

## مسدس

- (10) بشرط لاصق أصلح ثقب المسدس.
- (11) بخيط، نَفَّ زناد المسدس عساه يتذكر وجهك.
- (12) المسدسات الملونة، للأطفال فقط. المسدسات المطلية بالأسود تُلف بغلاف مجلة play boy لإغراء المراهقين.
- (13) تُباع المسدسات مع فرشاة تنظيف الأسنان.
- (14) كل مسدس يأخذ أكثر من عشرة رصاصات لا أقل أقتل بعدد أصابع يديك وقدميك.

• شاعر عراقي

## أسرار المنارات السبع



## ❖ مصطفى الزويتبي

- (1) قبل سر الأولى:  
قبل سر الأولى فكرت في البحث عن مدخل دخلت..
- (2) سر الثانية:  
أخرج الآن، وكنت خارجاً قبل أن أدخل سر الثانية ما كنت فيه وتحولت عنه. أخرج الآن.
- (3) سر الثالثة:  
لو كنت ما أريد أن أكون، ما قبلت أن أولد.  
هذا عالم العداوة.  
لو كنت ما أريد أن أكون، ما قبلت أن أوجد.  
عمر الولادة مر والوجود سر الثالثة.
- (4) سر الرابعة:  
سبعة وستون دمة أحصيت في عينيك تقطر مثل ما يقطر الرصاص سر الرابعة في الفارق بين الدمع والرصاص.
- (5) سر الخامسة:  
حدقت في المرأة فريت المرأة في وجهي لكل وجه وجوه  
والمرأة تكسرت في وجهي لوجهي الانكسارات..  
سر الخامسة مكتوم.
- (6) سر السادسة:  
قال لي: إن حاكيت السماء سامطر.  
قلت له: وإن أمطرت..  
من ستسقي.. على من ستمطر...؟
- (7) سر الأولى:  
لكل سر ملامح الوجع.

• شاعر مغربي

## فيسبوكيات

عندما أطلع على ما ينتجه مثقفونا وفنانونا من أعمال متعلقة بسورية، أشعر أن معظمهم أجراء إما عند السعدية أو عند إيران، بعيدون جداً عن سورية، ولدى معظمهم عطش للشهرة والشعبية عبر التسلق على أكتاف إحدى الجوقتين المصفتين في كلا الجانبين.

• د. ممدوح حمادة

بوسعي الآن أن أدعي بأنني منفي، أو مُطارد.. أن أسرد كل الروايات الكاذبة.. أن أحكي عن الحنين للبلد فأبكي وأبكي، لم لا؟ لأنه لا.. فمساحة الكذب لم تعد تتسع لمنفي جديد.. لأبطال جدد.  
لا مقاعد شاغرة..  
الصالة امتلأت (ولن أكذب على الواقف).  
وللذين يسألونني لم غادرت البلد؟  
لأنني مللت منها وسأمل من سواها فأعود إليها.

• الروائي نبيل الملمح

## محاة | «الريجيم الوطني»!



## ❖ قلم رصاص

وجدتها، صرخ الرفيق «فيكي» بعد أن حكَّ أرنبه أنفه، ليس هناك أفضل من هذه الفكرة للتخفيف عن أحباء قلبي المواطنين، بما أننا لم نستطع السيطرة على الفئة القليلة المتمثلة بالتجار علينا أن نفرض سيطرتنا على المستهلكين، فرص السيطرة على المواطنين أسهل بكثير من محاولة السيطرة على التجار. أرسل على الفور بطلب الصحفيين ووسائل الإعلام ليلبغهم بالاكتمشاف العظيم.

سأل صحفي ما هي الفكرة؟

الفكرة هي كالتالي، بعد فشل نظام التقشف الذي أطلقته وزارة المالية قبل أشهر وقد كان فيه خطأ لا تغتفر، لم يراعها القانمون على تنفيذه، وهذا ما جعله مدعاة لسخرية المواطنين، ومن تلك الأخطاء التسمية، لقد اسموه برنامج «التقشف». تصور أنك تحاول إقناع مواطن بالتقشف! حتماً لن يقبل الأمر، وسيسخر منه، إن الفكرة التي خطرت لي تشبه إلى حد ما فكرة وزارة المالية لكن بروح العصر، وتلامس وجدان المواطن، وهذه الفكرة تتمثل بالترجيم لـ«الريجيم الوطني»، لن يجزع المواطن حين يسمع بالمصطلح الجديد، فأغلب المواطنين يخصعون لريجيم إرادي حتى يخفوا وزنهم، وكلمة الوطني ترفع الحس بالمسؤولية عند مواطننا وتعزز فيه روح المبادرة، ليبدأ منذ اليوم تعميم برنامج «الريجيم الوطني» على جميع فئات الشعب.

وبالنسبة للمسؤولين رفيق؟

لا طبعاً، لا يخصعون لهذا البرنامج لأسباب عدة، المسؤول ليس من عامة الشعب، ثم إن لديه المال ما يكفي

لإجراء عمليات شطف دهون دورية لذلك ليس بحاجة للريجيم، وحسه الوطني عالي جداً ليس بحاجة لمن يرفعه له لذلك يُستثنى.

حسناً لكن ماذا عن أولادهم؟

سؤال غبي كيف سيشمل الأولاد وأغلب أكلهم «همبرغر» و«كنتاكي» و«غوردون بلو»؟ وبما أن الريجيم وطني بامتياز قد استثنينا تلك المأكولات الإمبريالية الرجعية من أي برنامج وطني.

لم يجد عباقرة سورية حلاً لازمة مواطنيهم الاقتصادية، والضائقة المالية التي يمرّون بها سوى بتعميم تجربة «الريجيم الوطني» التي جادت بها مخيلة أحد المسؤولين في الدولة والمجتمع.

وأسهب الرفيق المسؤول في شرح ماهية هذا الريجيم وآليات تطبيقه دون أن يحدد مدة زمنية لنهايته، إذ يمكن للمواطن الإحجام عن شراء اللحوم والاكتمفاء برويتها والتلويح لها من بعيد، وكذلك يُسمح له بالتقاط صور بوضعية «سيلفي» مع الفواكه والخضار، وعليه أن يترك كل ما لا يمكنه شراءه لأخيه المسؤول. ويُعد هذا الابتكار الأول من نوعه في دول الشرق الأدنى إذ لم يسبق أن أطلقت أي حكومة من حكومات المنطقة العربية والإقليمية برنامجاً لـ«الريجيم الوطني»، وهذا يُعتبر إنجازاً غير مسبوق نرى ضرورة السعي لتسجيله في موسوعة غينيس باسم الرفيق «فيكي» صاحب الأفكار العبقريّة، مما يتيح المجال للجامعات في مختلف أنحاء العالم الاستفادة من هذا الاكتشاف المذهل.

## ❖ قلم رصاص

الأديب عبد السلام العجيلي، طبيب ونائب وزير وأديب سوري، من مواليد الرقة عام 1918، تعتبر كتاباته في المجال الأدبي من ضمن أغنى وأهم الروايات الأدبية العربية في تاريخ الأدب العربي.

ولد الدكتور عبد السلام العجيلي في مدينة الرقة السورية عام 1918. درس الابتدائية في مدينة الرقة وأخذ (السرستيفكا) في عام 1929، ثم انتقل للدراسة في تجهيز حلب. تخرج طبيباً من جامعة دمشق عام 1945.

انتخب نائباً عن الرقة عام 1947. بدأ الكتابة في مجلة الرسالة المصرية باسم مستعار عام 1936، حيث نشر قصة بعنوان: نومان. أصدر أول مجموعاته القصصية بعنوان: بنت الساحرة عام 1948. تطوع للقتال في جيش الإنقاذ في فلسطين عام 1948.

تولى عدداً من المناصب الهامة في سورية:

- وزير خارجية

- وزير إعلام

- وزير ثقافة

أصدر العجيلي العديد من المؤلفات

## شخصية الأسبوع | د. عبد السلام العجيلي



تجاوزت الأربعين بين القصة والرواية والشعر والمقالة. نشرت كتاباته في أهم الصحف والمجلات العربية والعالمية، وترجمت مؤلفاته إلى عدة لغات عالمية.

تعتبر كتاباته في المجال الأدبي من ضمن أغنى وأهم الروايات العربية في تاريخ الأدب العربي.

أطلق على العجيلي لقب أيقونة الرقة، لعدة أسباب، ربما من أهمها ممارسته الطب رسالة وخدمة لكل الناس لعقود طويلة من السنين، بلا كلل ولا أجر ولا منة، وكان الطبيب مداوي لكل رجل وامرأة وطفل في الرقة!

أكثر ما تآلق في القصة والرواية، وأغثير أحد أعلامها في سورية والعالم العربي، إلا أنه من الصعوبة بمكان حصره في دائرة القومية، لأن العجيلي تعدى هذه الدائرة نحو دائرة العالمية ليصبح نذاً لأدباء عالميين آخرين عرفهم الغرب، ولعل عالمية أدبه تظهر من خلال الترجمات للعديد من أعماله للغات مختلفة.

توفي الأديب الدكتور عبد السلام العجيلي في 5 نيسان 2006 عن عمر يناهز 88 عاماً ودفن في مدينته الرقة.

## دعوة مجلة وموقع قلم رصاص الثقافي :

إلى جميع الأدباء والكتاب والصحفيين الشباب العرب ندعوكم أسرة تحرير مجلة وموقع قلم رصاص للكتابة في المجلة والموقع وإرسال نصوصكم الإبداعية وموادكم الصحفية والنقدية لنشرها في هذا المنبر. وبإمكانكم مراسلاتنا وإرسال المواد عبر بريد المراسلات.